عروس النيل

— ١ —

أعياد النيل عند قدماء المصريين

قرأت بصحيفة « الاهرام » الغراء بتاريخ ١٨ أغسطس سنة ١٩٤٩ ما كتبه حضرة الناقد الشهير الأستاذ أحمد الصاوي محمد بمناسبة عيد وفاء النيل في « ما قلّ ودلّ » إذ قال :

« أين عروس النيل ! ... أين ذلك الرمز الخالد للتضحية ، تفتدي بنفسها قومها » « وبلادها ووطنها . . وتذهب راضية مرضية ، إلى أعماق النهر ، وينطوي ذلك الحسن » « الأسمر الرائع في طيات أمواج النجاشي » .

عرف من الآثار التي استكشفت أن المصريين كانوا يقيمون للنيل احتفالات تشبه الأعياد ، ولم يذكر المؤرخون عنها إلاّ شيئاً قليلاً ، فمن ذلك ما قاله « بلين » المؤرخ الشهير في القرن الأول للميلاد إن المصريين في عصره كانوا يقدمون للعذراء تماسيح ويلبسونها بعض الثياب في وقت الفيضان ويلقونها في النيل فتبدو ألوان الثياب الناصعة في منظر بهيج يروق الناظرين » .

والذي لا شك فيه أن كل الاحتفالات الخاصة بالمهرجانات التي تقام لفيضان النيل سنوياً كانت بمنزلة فريضة دينية يحترمها الناس كاحترامهم للنيل (١) ، وكان رؤساء النيل يقيمون لها الزينات المعتادة للأعياد العامة .

وجاء أيضاً ما نصه : « يستقبل الشعب المصري بالفرح والسرور ظهور مياه السلسلة المقدسة ، فابتهاج النفوس وفرحها بمجيء النيل أمرٌ طبيعي ، ويجب أن يعد فيضانه في مقدمة الأعياد التي يحتفل بها المصريون بعضهم بعضاً .

وجاء في أنشودة النيل المكتوبة في ورقة إنسطاسي البردية ما نصه : « أيها الفيضان

المبارك قدمت لك القرابين والذبائح ، وأقيمت لك الأعياد العظيمة ، وذبحت لك الطيور وانتصبت تحيتك الغزلان من الجبال ، وأعدّت لك النار الطاهرة ، وقدّم لك البخور

(رقم ١) عروس النيل أو مصر هبة النيل

والنعم السماوية والعجول والثيران ، فتقبلها هدية شكر واعتراف بفضلك » ولم يذكر بها مطلقاً إلقاء عذراء في النيل (١) .

وجاء ذكر أعياد النيل في مائدة القرابين محفوظة في متحف فلورانس ، ويرجع تاريخها الى ملوك الاسر الثلاث الأولى .

رقم (٢)
المعبود حورس (أبولون)

وقال « ماسبيرو » في هذا الموضوع : « عند ما يصل الماء المقدس إلى جدران مدينة «سيين» (أسوان) يقدم الكهنة أو الحاكم أو أحد نوابه ثوراً أو بطًّا ، ويلقيه في الماء في حرز من البردي مختوم عليه ، ويكتب في الحرز الاسم الملكي الخاص بنظام الفيضان . ومتى ترأس الملك نفس هذا الاحتفال نقشوا في الصحراء وسجلوا هذا الحادث تذكاراً تاريخيًّا . وإذا تغيب الملك عن الاحتفال ناب عنه الكهنة باحتفال عظيم ، حاملين تمثال المعبود سائرين به على ضفاف النيل والجسور مرتلين الأناشيد » .

ومن المستندات الرسمية الباقية عندنا الآن شواهد السلاسل الثلاث ، يرجع تاريخها إلى عهد الملوك رعمسيس الثاني ، ومنفتاح ابنه ، ورعمسيس الثالث ، وهي تنقسم الى جملة أجزاء ، فمعد مقدمة رعمسيس الثاني تقرأ أنشودة النيل، وخطاب الملك بالتهليل للمعبود، ثم القرار الذي يحدد تاريخ الأعياد ، ويلحق به كشف القرابين وملخص ترجمته كالآتي :

« في السنة الأولى والشهر الثالث من فصل الحصاد ، واليوم العاشر في عهد المنير الشمس الملك القادر المحبوب من الحق ، صاحب النجاح حاكم مصر المتسلط على البلاد الجبلية حورس الذهبي (رقم ٢) مديد العمر المبارك ملك الوجهين القبلي والبحري رعمسيس المحبوب من أمون أبي الآلهة الذي يمنحهم الحياة والبقاء والقوة كالشمس الى الأبد فيحيي الإله الطيب النيل الذي يحيي النفوس بجوهره والثروة بثمراته (رقم ٣) أنت أيها الوحيد الذي تظهر من نفسك ، ولا يعرف أحدهما تحويه والكل يفرح بظهورك من مخبئك ، فيك تربى الأسماك العديدة ، ومنك تفيض الخيرات على مصر ، فأنت خلقت لإحيائنا ، ويسر بك الناس والمعبود « نو » متى قدم له القرابين أهالي البلاد ، واتحدوا

معه في فرح التحية بقدوم النيل المفيض، فخيراته على البلاد تستفيض من صنع يديه وتتدفق ببركاته »

« وقد أمر الملك بتقديم القرابين لأبيه أمون رع (رقم ٤) ملك الآلهة مرتين في السنة في زمن مياه السلسلة المقدسة، وفي مكانه المكرم الذي لم تكن قبله مياه، حياة وسلام وقوة »

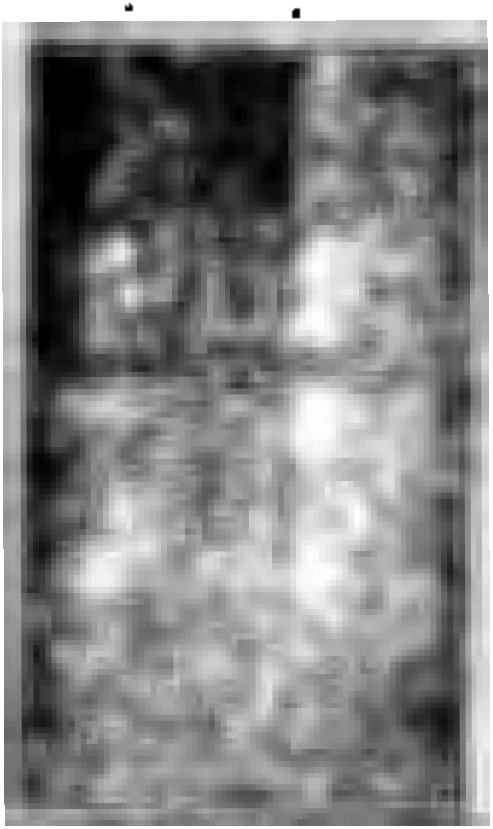

(رقم ٣)
نيل الوجه القبلي ونيل الوجه البحري حاملان ثمار النيل كالأسماك وزهرة البردي والأصل محفوظ بالمتحف المصري بالطبقة السفلى بالجناح الشرقي

(رقم ٤) المعبود أمون رع
ملك الآلهة

« تتقدم القرابين في اليوم الأول من شهر سايت ، وفي الخامس عشر من شهر توت ، وفي الشهر الثالث من فصل الفيضان، والخامس من شهر ابيب « كضريبة سنوية »

« ويلقى في النيل عجل أبيض، وثلاث أوزات وهدايا ثمينة، ثم الكتاب الشامل لتفصيلات المهرجان وأنواع الهدايا للاله أمون رع ملك الآلهة ورب مدينة طيبة »

إذن لم يلقَ بعذراء في النيل كما يزعمون

ومهما اختلف المؤرخون في تواريخ أعياد النيل ونماذج احتفالاتها ، فلا تخرج عباراتهم عن قول واحد وهو بذل جهدهم في مظاهر الأفراح عند بدء الفيضان ، وإلى ذلك أشار العالم الأثري « دي روجيه » إذ قال « في اليوم الخامس عشر من شهر توت جاء فيضان النيل في سلسلة ، وفي ١٥ أبيب صعد النيل فقدمت القرابين والهدايا للمعبود حعبي (اسم النيل المقدس) (رقم ٥) ، وفي ذاك اليوم كانوا يلقون له ميثاقاً مكتوباً من ديوان الملك ، فيقبل النيل هذا العهد ولا يختلف عن وعوده ، فيمنح مواهبه أرض عبيده المؤمنين »

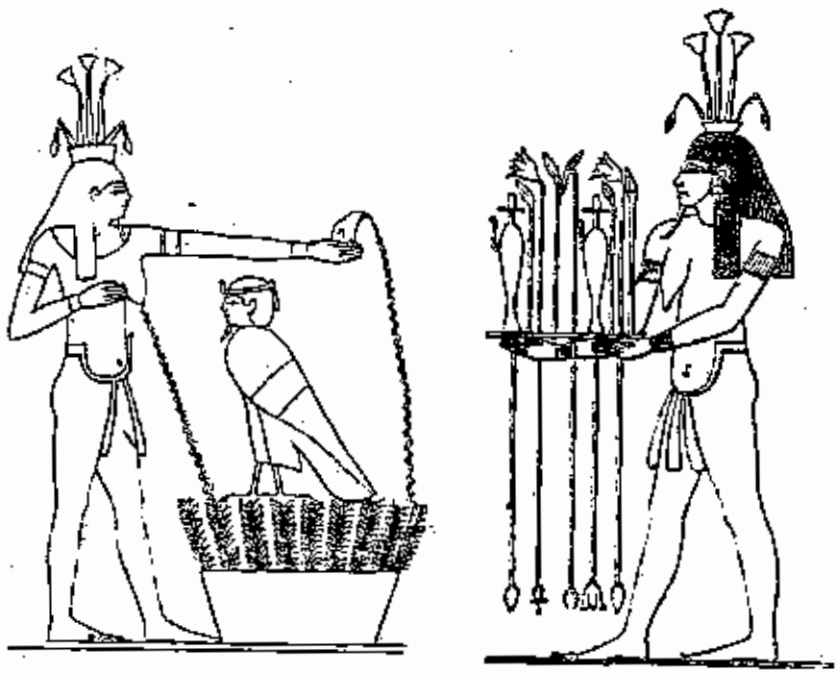

(رقم ٥) الاله حعبي (اسم النيل المقدس)

وفي نتيجة « مدينة هابو » تاريخ لأعياد يحتفلون بها ، ويظهر أن قدماء المصريين كانوا يحتفلون في يوم ٣٠ من شهر كيهك بعيد الصليب . قال بروكش باشا « العالم الالماني إنهم كانوا يحتفلون بهذا العيد في جملة مدائن مثل أدفو، ودندرة، واسنا »

وكانوا يجعلون لمقياس النيل (رقم ٦) عيداً عامًّا فيحمل مقياس النيل في معبد سيرابيس .

(رقم ٦) — الشيخ والستة عشر طفلاً رمز النيل، والستة عشر ذراعاً (المقاييس) والأصل محفوظ بالفاتيكان بروما ، ويرجع تاريخه للعصر الروماني

وروى سنيك الفيلسوف الروماني (في القرن الأول للميلاد) : « أن المصريين في عهد الرومان كانوا يلقون في نهر النيل القرابين ويلتمسون الحمام بعدها هدايا من الذهب وأنواع الحلي » .

ولا يزال تقليد الاحتفال بأعياد النيل باقياً الى يومنا هذا ، ولا نعثر على اسم مصري يؤيد ما نسب الى قدماء المصريين من تقديمهم ذبيحة بشرية، في حفلة فيضان، أو لأجل ان يجود النيل على البلاد بفيضه السنوي

ويظهر أن منشأ هذه الخرافة قصة رواها « بلوتارخ » المؤرخ اليوناني في القرن الأول للميلاد ، وتناقلها عنه غيره من قومه، ومن الرومان، ومن العرب إذ قال : « اعتماداً على وحي أجيبتوس ملك مصر قدَّم ابنته قرباناً للنيل ليخفف غضب الآلهة، وإنه بعد فقد ابنته ألقى بنفسه في النيل » .

فهذا القول هو أصل الاعتقاد بتقديم فتاة عذراء قرباناً للنيل المعبود كل سنة . ويكفي أن البداهة الذوقية تكذب هذا الزعم بعد العلم الراسخ بما كان للمصريين من القدح المعلى

في المدنية ورقة الشعور وسمو العواطف حتى مع الحيوانات العجم . فبالأولى تشمئز سجيتهم عن إلقاء فلذة كبد من أكبادهم في مجرى المياه المتلاطم الأمواج التي لا تبقي شيئاً من إرهاق النفوس واختطاف الأرواح من أجسادها ، ولم يكن العقل يستسيغ اقتراف هذا الجرم وانخداع النيل بارتكابه .

أما ذكر «عروس النيل» بلفظة «ربيت» المشار إليها في ورقة «هريس» البردية، فيكفي في إثبات أنه خرافة وخطأ ، إن لفظ «ربيت» هو علم على أحد أشكال النيل المؤنثة، وليس علماً على « عروس » كانت تلقى في النيل كما زعم بعض المؤرخين . والقول باستمرار العادة بالهدايا الذهبية والطيور والحيوانات لا ضرر منه ، وغاية ما يلتمس به العذر هو التفاؤل بأن يكون الفيضان سخياً على مجموع الخلائق بجود بأهم ما تشتاقه النفوس .

٢ — أعياد النيل في العصور الوسطى

استمر المصريون على ما ألفوه من عادات الأعياد ورسوم الحفلات، ولم يغيروا حفاوتهم بها مع ما طرأ على ترتيباتها من التفاوت في الرونق والأوضاع ومظاهر الزينة ، فهي كانت عرفية ووراثية وقومية ودينية إلى أن جاء الفتح الاسلامي بمصر، فمحا كثيراً من العادات، ولا تزال بعض آثارها باقية إلى يومنا هذا . وفي كثير من المتاحف بالمدائن الشهيرة بعض بقاياها الدالة على ما كان للنيل من المكانة في النفوس ، والنيل من حيث هو منبع الفيض والخيرات ، يبقى بمكانته العمرانية في أرفع مراتب التجلة والاحترام ، فهو كما تقدم كأنه انتزع من مساحات الصحراء كميات وافرة كانت مجدبة فألبسها حلة الرغد والسخاء ، وجعل القاطنين بها أغنياء بعد الفقر ، وذوي سعة ويسار ، بعد أن كانوا في حضيض الفاقة والضنك.

ولا زال الاحتفال بمهرجان النيل متبعاً في نوعيته إلى الآن، فكأن المصريين في محافظتهم على تقاليد آبائهم اقترضوا على حكامهم احترام تقاليدهم وعقيدتهم في النيل المقدس

وكان من عقيدتهم في عهد الفراعنة أن دمعة المعبودة «ايزيس» (رقم ٧) تنزل في النيل وتسبب فيضانه ببقيت هذه العقيدة الى العصر المسيحي ، وظن الاقباط أن النيل يفيض بنقطة إلهية تنزل من السماء ، ونجد في النتيجة السنوية القبطية أنه قبل انقلاب الشمس في الصيف بأربعة أيام أي في اليوم الحادي عشر من شهر بؤونه يحتفل بعيد ليلة النقطة

السماوية التي تطهر الهواء ، وترفع الطاعون عن الأرض . ويقول البعض إن جبرائيل رئيس الملائكة يصلي قبل ذلك بثلاثة أيام ويدعو حتى تفيض مياه النيل فيسجد ويتوسل إلى ربه بأن يفيض النيل وينزل إلى الأرض المطر والندى ، ويحمل في يديه سيفاً لطرد الشيطان وإليه فيما يقولون يرجع فضل نزول النقطة الإلهية .

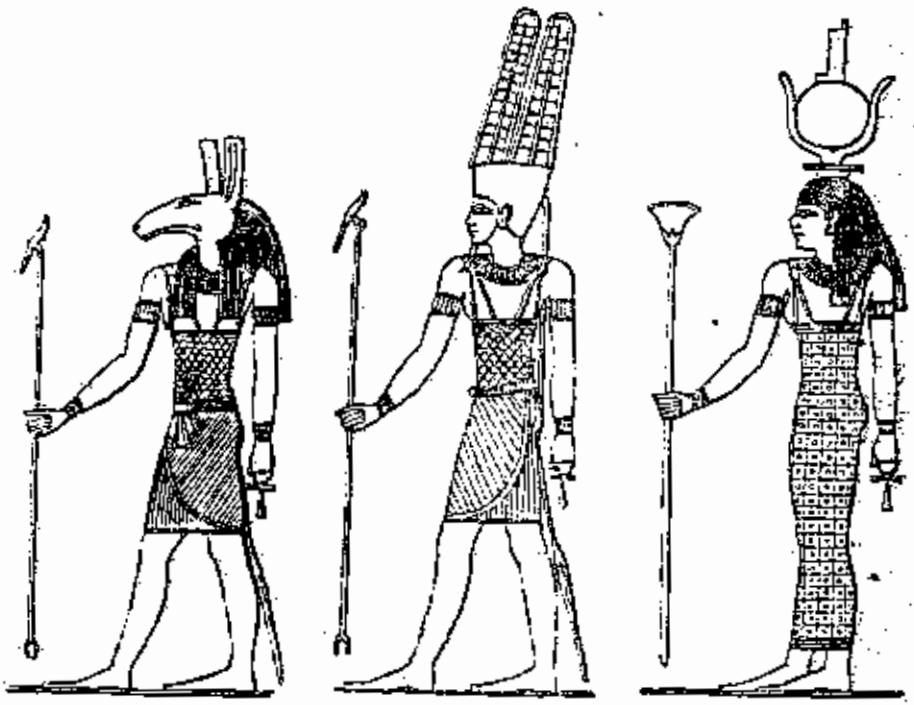

(رقم ٧) المعبودة إزيس

(رقم ٨) المعبود حورس (باز)

(رقم ٩) ست (تيفون)

فالأقباط حافظوا على تقليدهم القديم حتى أتت النصرانية ، وجعلوا يوم نزول النقطة عيداً . وقد جاء في بعض النصوص ذكر النقطة السماوية وليلة موج الدموع . وأن قصة قتال جبرائيل رئيس الملائكة للشيطان تشبه كثيراً قصة حورس (رقم ٨) المنتقم لأبيه من ست ، (رقم ٩) وأبيه أوزوريس (رقم ١٠) رمز الأرض السوداء المخصبة ، وست رمز الصحراء المجدبة .

(رقم ١٠)
أزوريس (ديونيسيوس)

ومتى حان وقت نزول النقطة يتوانى الفيضان ويرتفع الى درجته المعلومة . ومن العادات المألوفة الى اليوم أن بعض الناس اتخذوا المناداة للتبشير بمبادىء الفيضان في أوائله سبباً للارتزاق بما يسديه إليهم الناس عند هذه البشرى ، فهؤلاء بعضهم بعضاً بحلول موسم النيل كالتهاني المألوفة في الأعياد السنوية

ثم يأتي عيد زواج النيل ، والاحتفال بقطع الخليج ، والقول بزواج النيل مبني على تلك القصة الخرافية قصة القاء فتاة في النيل تلك الفتاة التي استبدل بها الى عهد قريب تمثال من الخشب يحلى بملابس ويزين بالقصب ونحوه . وأما الاحتفال بالنيل وإلقاء النقود ونحوها في مجراه ، فهذا على سبيل التفاؤل كما تقدم . ومن التماثيل الموجودة في متحف اللوفر تمثال رمزي يمثل النهر صنع مدينة الإسكندرية وهو يشبه أحد تماثيل النيل المحفوظة الى الآن بمتحف الفاتيكان في رومة . (راجع رسم ٦)

٣ — أعياد النيل في العصور الحديثة

نقل المقريزي في خططه عن ابن الحكم (صاحب كتاب « فتوح مصر » وغيره المتوفى سنة ٢٥٧ هـ — سنة ٧٨٠ م) من أخبار مصر أنه في سنة ٢٣ بعد الهجرة لما افتتحها عمرو بن العاص جاء إليه الأقباط وقالوا إن للنيل سنة لا يجري إلا بها ، قال وما هي ؟ فقالوا : إذا خلت اثنتا عشرة ليلة من شهر بؤونة من الشهور القبطية عمدنا إلى جارية بكر مليحة نأخذها من أبويها غصباً ، ونجعل عليها الحلي والحلل ، ثم نلقيها في بحر النيل في مكان معلوم عندنا . فلما سمع كلامهم قال هذا لا يكون في الإسلام أبداً . فأقام أهل مصر أربعة أشهر بؤونة ، وأبيب ، ومسرى ، ونوت لم يزد فيها النيل لا كثيراً ولا قليلاً . ولما رأوا ذلك هموا بالجلاء عنها . ولما رأى عمرو بن العاص منهم ذلك كتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه . فلما وصل إليه ذلك الكتاب وعلم ما فيه كتب بطاقة وأرسلها إلى عمرو بن العاص وأمره أن يلقيها في نهر النيل . فلما وصلت إليه تلك البطاقة فتحها فإذا مكتوب فيها :

« بسم الله الرحمن الرحيم من عمر بن الخطاب إلى نيل مصر المبارك أما بعد فإن كنت تجري من قبلك فلا تجر ، وإن كان الله تعالى هو الذي يجريك فنسأل الله تعالى أن يجريك ، فلما وقف عمرو بن العاص رضي الله عنه على ما في البطاقة ألقاها في بحر النيل قبل عيد الصليب بيوم واحد ، وعيد الصليب يكون في السابع عشر من شهر توت فأجرى الله تعالى النيل في تلك الليلة ستة عشر ذراعاً في دفعة واحدة »

وروى بعض السائحين بمصر في القرنين السابع عشر والثامن عشر بعد الميلاد أن المصريين كانوا يلقون عروساً من الخشب في النيل. واليك وصف الاحتفال :

« يتألف الموكب من حاكم البلد وطوائف عديدة من الأقباط والعلماء والأعيان ورجال الدين والبطرك وفريق من رجال الاكليروس ، وتتبعهم الموسيقى وخلفها الجماهير يصفقون ويترنمون بالأناشيد. ثم يلقون العروس الخشب في النيل وقت فتح الخليج .

ولما أتى بونابرت مصر ترأس حفلة النيل باعتباره أكبر حاكم للبلاد ، ولا يزال المصريون يحتفلون بوفاء النيل ، ويقيمون الأفراح في كل الجهات احتفالاً به فيكون بالرنق والزينات عيداً شهوداً .

وروى المؤرخون اليونانيون إنه كان لكل إقليم من الأقاليم المصرية القديمة آلهة خاصة ، إلاَّ أن جميع القدماء أجمعوا على تقديم فرائض خاصة للنيل ، وكان لفيضانه العجيب احتفال سنوي كعيد يبتهج به جميع أفراد الشعب .

وكان من عقائد القدماء إن لكل شيء روحاً وحياة، وارادة ، وشخصية سامية، من هبات المعبود الأعلى ، وإن النيل يشفي من الأمراض ، وإن الأقباط والمسلمين وإن كانوا أبطلوا الاعتقاد بألوهية النيل ، لكنهم لا يزالون يصفونه بتولهم النيل المبارك . وفي زمن فيضانه كان البطرك يذهب إلى النيل مصحوباً بحاشيته إلى مصر العتيقة ، ويلقي في النيل صليباً من الفضة. وكان الترك يحتفلون به رسمياً، ومتى انتهى الاحتفال كانت الجماهير تلقي في النيل الحبوب والثمار والسكر والخبز والدراهم ، ويغتسل الأطفال في مياه النيل ، وبعض الناس يغتسلون أيضاً بأول ماء يمر في الخليج طلباً للشفاء وإزالة العقم .

وكان من المشبع قبل اليوم المحدَّد ليحله يوم وفاء النيل أن يضعوا في مصر العتيقة تمثالين كبيرين عليهما أنوار مركبة على منصة من الخشب مسندة على مراكب، وهذان التمثالان يمثلان رجلاً وامرأة ويسميان العروسين

وكان من عادتهم صنع عروس أخرى من الطين ويلقونها في النيل يوم أثنين .

وقال هيرودوت « إن المصريين كانوا يكرهون ذبح الحيوانات فتحلل جداً إن يتوفوا من أزهاق الأرواح التي قيل إنهم يقدمونها كقربان وضحية طلباً لوفاء النيل

رقم (١١) رسم « للنيل » يرجع تاريخه الى القرن الأول للمسيح والأصل بتتسفورسكو وهو مصنوع من النسيج الملون نقلاً عن كتاب

Golénischef Résultats ovicues logiques

p. 57 ومكتوب عليه باليونانية « نيلوس »

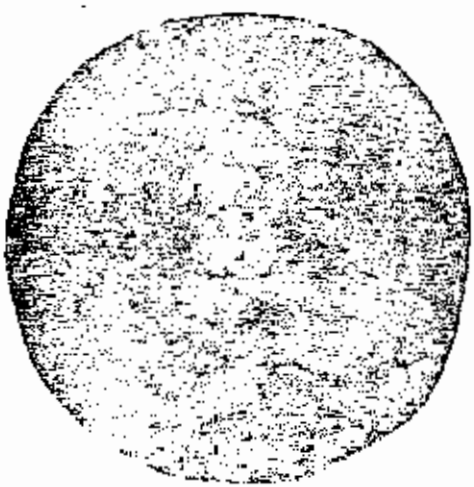

(رقم ١٢) رسم « لعروس النيل » أي أرض مصر يرجع تاريخه الى القرن الأول للمسيح ، مصنوع من النسيج الملون نقلاً عن كتاب

Bock, Sur l'art copte p. 151 ومكتوب عليه كلمة « جي » باليونانية ومعناها أرض

وليلاحظ ان كل أمة يدخل عليها دين جديد ينشر عنها خرافات كثيرة . وإذا تأملنا رواية ابن عبد الحكم والناقلين عنه كالمقريزي وغيره ، يتضح لنا إنها خرافة مخترعة . نعم إن ابن عبد الحكم نقل هذه عن اليونان كما نقل غيره أكاذيب أخرى في كتاب صنفوه « الأنوار » نسبوه الى بلوتارخ ، ودروا به أن أحد ملوك مصر لما أبطأ فيضان النيل في بعض السنين ألقى ابنته فيه بأمر الآلهة واشتهر في الروايات ان الاحتفال بمثل (روح النيل) الذي هو أزوريس (رقم ١١) بأرض مصر التي تمثل اريس (رقم ١٢) فالمرجع في كل الروايات الى تصور خيالي ليس الا .

٤ — أنشودة النيل لقدماء المصريين

من لوازم الفطرة الراقية ابتكار الأناشيد في المناسبات التي ترتاح النفوس فيها الى الترنم بما يستطاب لأجلها افتخاراً واستلذاذاً واستبقاء لحسن الأحدوثة، فيتداول الناس الأناشيد كلما تجددت الذكرى للاحتفالات، والنيل عند قدماء المصريين قد اختصوه بما ألفوا من مظاهر الأفراح ودلائل المسرات عند فيضانه ومواسم أعياده. وقد خصوه بأناشيد رائعة تعرب عن شدة شعورهم، ومن بينها الأنشودة التي نظمها في عصره الشاعر المصري القديم ووجدت مكتوبة في لوحتين على الورق البردي المحتفظ بهما إلى الآن في المتحف البريطاني، وترجمها العالمان الآريان الشهيران «ماسبرو» و«جبس» وهما اللذان نقلاها من الشعر المصري القديم، وقد ترجمت الى العربية نظماً من الرجز

نسدي الى النيل سلاماً عاطراً ... لأنه قد جاءنا مباركا
اليوم عيد النيل في بشراه ... فكلنا تسرنا لقياه
النيل يحيي فيضه بلاده ... وهي له تلازم الصداده
منظره يروق للأبصار ... وسره معجزة الأفكار
النيل يأتينا من القفصات ... ليملأ الأكوان بالخيرات
يروي نداه أنضر الحدائق ... وينبت الأرزاق للخلائق
كأنه يأتي من السماء ... ليمنح الحياة للأحياء
يحيي موات الأرض في النواحي ... كأنه من عالمي فتاح
يجود بالخير (لسب) محسناً ... كما (لنيرا) قد أقرّ الأعينا

(٢)

النيل رب السمك المحبوب ... يأتي به من عالم الغيوب
ويخصب النبات في الجنان ... والزهر والريحان في البستان
ينبت قمحاً وشعيراً جيدا ... ولن يصد النيل عنه أحدا
بالنيل ينجو من شقاه الدهر ... كل فقير من أهالي مصر
في نعمة النيل هذا الوادي ... سعادة الحكام والأفراد
والبطء في الفيض يضر الخلقا ... ويغضب الرب الرحيم حقا

(٣)

فيوضه تأتيه من أتوم ... فتجتني من خيره المقسوم

وتنتشي أوهام كل خائف بالنيل فهو مصدر اللطائف

(٤)

كأنك الخالق للأشياء ومانح الضعاف بالسماء
ومن ندالك تمنح القربانا فلا تخاف بعده هوانا
كل غني منك يرجو نعمته ويمنح المحتاج منها رحمته
فأنت للغني والفقير ملطأ كل الخير والتيسير

(٥)

أنت رئيس سفن الحياة تسري بها لساحل النجاة
أسرار مجراك علينا خفيت لكن مزاياك لدينا عظمت
فلست محتاجاً إلى قربان ولست تخشى خدع الانسان

(٦)

ولست محتاجاً إلى مكان فأنت رب الفيض والإحسان
يلقاك بالتعنيق عند اللقيا مستبشرين كل من في الدنيا
فأنت تحمي مهجة الظمآن وحارس الملوك والتيجان

(٧)

منك المعونات على الدوام مقرونة بالجد والإعظام
وأمرك المطاع في البلدان تقبله النفوس بالإذعان
وتملأ القلوب حبًّا صادقا وتجعل الكون بشكر ناطقا
أولاه «سبك» منك في أفراح وأهل «نيق» بك في انشراح
كأنما دائرة الموجود أمام مجراك من الجنود
يغني العباد عن شقاء الجهد فيضك إذ يأتي بكل رغد

(٨)

يضيء منك الماء حين يبدو بعد الظلام وهو ما تودُّ
لم تتخذ فيما ترى أعوانا ولم تدع لحاكم سلطانا
فأنت روح الكل في الوجود أنعم بفيض النيل من مقصود

(٩)

تأتي وتمضي طبق ما تريد وكم تطيع ربها العبيد
وكل ثوب من هموم ماضيه تنزعه بشرى التلاقي الزاهيه
فأنت للسقام نعم البلسم ومنك للجميع تصفو الانعم
تجيب بالفيض رجاء الأمة وتصطفيها بعميم الرحمة
يحوي ثراك أنفس المعادن فتكثر الاموال في الخزائن
لكن بالقمح حياة الناس وليس بالأموال في القرطاس

(١٠)

في عيدك الصغار والكبار تطربهم الطبول والمزمار
ويستطاب الأنس والسرور ويتباهى بالصفا الجمهور
فأنت حقاً زينة البلاد ومصدر الخيرات والاسعاد

(١١)

وكلما جئت الى العواصم أسديت فيها أعظم المغانم
فيفرح الغني والفقير إن لم يعق فيوضك التأخير
وهكذا مسرة الأقوام يحبونها في سائر الاعوام

(١٢)

نهدي إليك الطيب والعجولا وكل قربان نرى المقبولا
ونوقد النيران والبخورا ونملأ الدنيا بها سرورا
نخرج من (بتيو) وثأتي طيبه كمثل زائر حبيبه
وكل ما يحويه سر النيل لم نكتشف منه سوى القليل

(١٣)

مصر تعد النيل ربًّا سامياً فاجعل لنا بالفيض حظًّا نامياً
واجعل بني النيل على سواهم يرقون شأناً رغم من عاداهم
آمين . آمين . آمين

وكان قدماء المصريين باعتيادهم الترنم بهذه الأنشودة يمتنون توقيعها على أوضاع الآلات الموسيقية ليكرنّ نوقعها في النفوس طرب النشوة الموسيقية والانشراح القولي، ولا زلنا الى العصر الحالي نتلقى من عوام المنادين الذين يطوفون وحولهم الغلمان في الأزقة والحارات ما هو بلا شك صدى متتابع من ترديد هذه النغمات أيام الفيضان.

ومن أولئك المنادين من يقتصر فيما يلقيه على غلمانه بأناشيد مختصرة ، وأغنيات مقتضبة ، ومنهم من يجعل كلماته على نسق السجع المرصع ، الذي طرأ عليه التحريف العامي في النطق والتلحين بما لا يخرج في معناه عن القول الآتي :

إنك أيها النيل المبارك صاحب القوة العظيمة ومنك تتدفق الكنوز ، وتفيض الخيرات على أرض مصر ، بارك الله تعالى في فيضانك ، وأدامك متدفقاً بالخير والبركة على البلاد والأودية والبساتين والمزارع ، يشكر لعطائك الأنس والحيوان والطيور في أوكارها ، والحيتان في أغوارها .

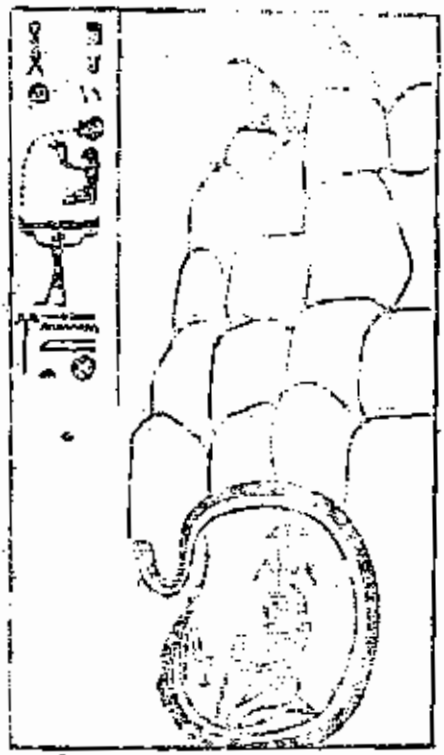

رسم يمثل الإله حعبي (النيل) في هيئته ، وتفسير هذا الرسم إنه يوجد فوق صخور مرتفعة عليها رمتا الصقر والباشق ، وفي حجرة يرى بداخلها هيكل إلهي لآله رائع حاملاً في يديه آنية تخرج منها فيوضات النيل المبارك ، ويجد الرأي مرسوماً على رأس الحجرة حية ملتفة على نفسها وبين رأسها وذنبها منفذ ضيق لمرور النيل . وهذا الرسم فسره كاهن مدينة سايس للمؤرخ هيرودوت بأنه منتهى معلوماتهم عن منابع النيل

فإذا كانت عبادة النيل بصفته إلهاً كما كان يعتقد به قدماء المصريين في حفلاتهم ومعابدهم فقابلته بالتحية والبشاشة والفرح والسرور عند منادي أشهر فيضانه آثار باقية من العواطف القومية لدى الأمة المصرية بصرف النظر عن اختلاف المعتقدات والتطورات الفطرية .

وقصارى القول لو كان هناك حقيقة أن قدماء المصريين كانوا يلقون عذراء في النيل يوم فيضانه ، لكانوا أثبتوها في أناشيدهم المذكورة . إذن رواية ابن الحكم ما هي إلا خرافة منقولة عن اليونان .

انطونيوس زكري
أمين مكتبة التحف المصرية سابقاً